

پابلو نیرودا

مرتفعات مائشو پیتشو

ترجمة: أحمد حسان

[مجلة "الفكر المعاصر" العدد 1/ مايو 1979]

تقديم

يتقاسمنا شعورٌ غامرٌ من البهجة والقلق ونحن نضع أمام القارئ قصيدة "مرتفعات ماتشو بيتشو". البهجة لأننا نقدم هذه القصيدة، التي تحتل مكانا بارزا بين قصائد "النشيد الشامل"، كاملةً لأول مرة بالعربية، على قدر علمنا. ولأننا بذلك نطرق باب "النشيد الشامل" الذي طال خوفنا منه. هذا النشيد الذي يُعدّ بحق ملحمة لأمريكا الجنوبية.. أشجارها وطيورها وحيواناتها.. جبالها وأنهارها وفصولها.. تاريخها وأساطيرها وحاضرها.. وقبل كل شيء.. بشرها السكان الأصليين الذين شيدوا حضارة سحيقة القدم، وجاء الغزاة الإسبان بسلاحهم وصليبهم ولغتهم، فامتزجت الحضارتان فوق نهر من الدماء، وسرى في الشعر والأدب الاسباني نبض جديد قدمه أدباء أمريكا اللاتينية بدءاً من روبن داريو وانتهاءً بشاعرنا.

وقصيدتنا تستمد شرارتها من ماتشو بيتشو، المدينة الأثرية التي أقامها السكان الأصليون فوق قمة جبل شاهق يعد من أجمل مناطق الدنيا. وما كان بإمكان الشاعر، حتى لو أراد، أن يحدثنا عنها بعبارات بسيطة واضحة لأنه يتمثلها بصورة بالغة التركيب والكثافة. فهنا الأسلاف والتاريخ والوطن والآلام، والطبيعة التي أنجبت البشر. واستجاب الشاعر بتدفق مذهل وثرء فائق استعان فيه بكل خبرته بشعر الاسبانية وبالشعر الرمزي والسوريالي الفرنسي على وجه الخصوص، وبما انطبع في وجدانه من

ملاحق قارة غنية بجمالها وتراثها. ومن هنا القلق، فقد يجد القارئ، كما وجدنا، صعوبة في النفاذ إلى قلب القصيدة، ولابد أن تكون الترجمة صورة شاحبة للقصيدة الأصلية. لكن عذرنا هو أن هذا التراث الشعري الذي طال انتظارنا له قد أصبح ضرورة ملحة كرافد من روافد ثقافتنا التي يغرقها الابتذال من كل ناحية.

ولن يفوتنا أن نهدي هذه الترجمة إلى ذلك الشاعر الذي أشفق على القصيدة كما أشفق على المترجم. لكن حماسه وبساطته وحبه للشعر كانت كلها دافعا قويا على إتمامها. فليقبل منا السنيور أدريان رودريجيث خونكو هذه الترجمة، علّه يرضى عنها بعض الرضى.

(1)

من الهواء إلى الهواء، كشبكة فارغة، مضيتُ عبر الطرقات والجو.

مُقبلاً ومُخلفاً

عند مقدم الخريف، عمّلات أوراق الشجر المتناثرة، ومُخلفاً
بين الربيع والسنابل، كقمرٍ هائل، ما يمنحنا إياه الحب الأعظم،
مثلاً في قُقازٍ يسقط.

(أيامُ البريق الحيّ في خشونة

الأجساد: فولاذٌ يتحوّل

إلى صمّت الحمض:

ليالٍ تحلّلت حتى المسحوق النهائي:

طلعُ الزهرِ المنتهكِ لوطنِ الأعراس).

من كان ينتظرني بين القيثارات
صادفَ عالماً مثل بُرجٍ مدفونٍ
يغمسُ لولبهُ عميقاً تحت
أوراقِ الشجرِ بلونِ الكبريتِ الحشن:
وهناك عميقاً، في ذهبِ الجيولوجيا،
مثل سيفٍ مُغمَدٍ في الشُّهبِ،
غمستُ يدي المضطربة الحانية
في أعمقِ أعضاء الأرضِ التناسلية.

دافعاً جيّتي خلال الأمواج السحيقة،
هبطتُ مثل قطرةٍ في السلام الكبريتي،
ومثل أعمى، رجعتُ إلى ياسمين
الربيعِ الإنساني البالي.

(2)

إذا كانت الزهرة تُسَلِّمُ الزهرة بذرتها الثمينة
والصخرُ يحفظُ زهرته مُبعثرةً
في رداءه المطروقِ من الماسِ والرمل،
فالإنسانُ يُجَعِّدُ تُوَيْجَ الضوء الذي
يلتقطه من المنابع البحرية الثابتة
ويثقبُ المعدنَ الخافق في يديه.
وسرعان ما تبقى الروحُ، بين الثوب والدخان،
تحت المنضدة المغمورة، ككميةٍ مختلطة:
سهاداً وكوارتز، دموعاً في المحيط
كبركٍ من البرد: وحتى حينئذ
اقتلها وعَجِّلْ موتها بالورق والكراهية،
أغرقها في بساط العادة، مزّقها

بين الأثواب العدائية من الأسلاك.

لا: فمن، عبر الردهات، والهواء، والبحر أو الدروب،

يحرّس دمه دون خنجر (مثل الخشخاش

القرمزي)؟ الغضبُ قد أنهك

السلع الحزينة لتاجر الكائنات،

بينما، في قمة شجرة الخوخ، خلّف

الندى منذ ألف عامٍ خريطة الشفافة

فوق نفس الغصن الذي ينتظره، آه يا قلب، آه أيتها الجهة المسحوقة

بين تجاويف الخريف.

كم من مرةٍ في دروب مدينةٍ شتائيةٍ أو في

حافلةٍ أو في زورقٍ عند الغسق، أو في الوحشة

الأشد كثافةً، وحشة ليل العيد، تحت صوت

الظلال والأجراس، في كهف البهجة الإنسانية ذاته،
اشتهيتُ أن أتوقَّف لأفتش عن الشريان الأبدي البعيد الغور
الذي كنتُ قد لمستَه في الصخر أو في البرق الذي تُطلقه القبلَةُ.

(ذلك الذي في القمح، مثل حكاية صفراءِ
ذاتِ نهودٍ صغيرةٍ مُفعمة، يظلُّ يُكرِّرُ رقماً
عذباً بلا انقطاعٍ بين القشورِ الخصبة،
ومتماثلاً دائماً، ينثرُ حبوبه في العاج
وهو في الماء وطنٌ شفاف، جرسٌ، يمتدّ
من الجليد المنعزل حتى الأمواج الدامية).

فلم أستطع الإمساك سوى بعنقودٍ من الوجوه أو الأقنعة
الساقطة، مثل خواتم من الذهب الأجوف،
مثل أثوابٍ مبعثرةٍ بناتٍ خريفٍ حانقٍ

هزّ الشجرة البائسة للأجناس المذعورة.

لم أجد موضعاً أريح فيه يدي

موضعاً، جارياً كماء النبع المكبّل،

أو صلباً كشظية من الإنتراسيت⁽¹⁾ أو البللور،

يمكنه أن يجيب حرارة أو برودة يدي المبسوطة.

ماذا كان الإنسان؟ في أيّ جزء من حوارهِ المفتوح

بين المتاجر والصفّارات، في أيّ واحدة من حركاته المعدنية

يحيا ذلك الشيء الذي لا يفنى، الشيء الخالد، الحياة؟

(3)

الكائنُ الحيُّ، مثل عود الذّرة، نثر حباته في الأهراء
اللامحدودة للأعمال الضائعة، والوقائع
التعسة، من واحدٍ إلى سبعة، إلى ثمانية،
وما حلّت بكل واحدٍ ميتةٌ واحدةٌ، بل ميتاتٌ عديدة:
كلّ يومٍ ميتةٌ صغيرة، تراباً، يرقةً، قنديلاً
يُطفيءُ نفسهُ في وحل الضواحي، ميتةٌ صغيرةٌ ذاتُ أجنحةٍ سمينة
اختزقت كلّ إنسانٍ كحربةٍ قصيرة
وكان الإنسانُ مُحاصراً بالخبز أو السكّين،
مُربيّ الماشية: ربيب الموانيء، أو الرّبّان الأسمر للمحراث،
أو قارض الدروب الملتقّة:
كلهم أوهمهم انتظارُ موتهم، موتهم اليومي القصير:

وكان عناؤهم المشئوم كل يوم
ككأس سوداء يرشفونها مرتجفين.

(4)

الموتُ العاتي ناداني مراتٍ عديدة:
خَفِيًّا كان كالمِـلح في المِـوج،
وكان مذاقه الخَفِيُّ المنثور
كأنه أنصافٌ من القيعان والقمم
أو تكويناتٌ هائلة من الريح وأكوام الجليد.

أتيتُ إلى حافة الحديد، إلى مُخْتَنَقِ
الهواء، إلى كفنِ الحضرة والصخر،
إلى الفضاء الكوكبي للخطوات الأخيرة
ودُوارِ الطريق الحلزونية:

لكنك، أيها البحرُ الشاسع، أيها الموتُ! لا تأتي موجةً إثر موجةٍ،
بل كقفزةٍ واحدةٍ من الوضوح الليلي

أو كأرقام الليل المطلقة.

إنك لا تأتي أبدا لتعبث في جيوبنا، وما

كنت لتجيء دون ثوبٍ أحمر:

دون بساطٍ فجري من الصمت المطوي:

دون ميراثٍ شامخٍ أو دفينٍ من الدموع.

لم أستطع أن أحب في كل كائنٍ شجرةً

تحملُ على كاهلها خريفها الصغير (موت ألف ورقة شجر)،

كل الميتات الزائفة ودورات البعث

بلا أرض، ولا هاوية:

وددت أن أسبح في أكثر الحيات رحابةً،

في أشد المصبات تدفقاً،

وحين أنكرني الإنسان شيئاً فشيئاً

وأغلقَ دوني دربُهُ وبابُهُ حتى لا تلمس
يَدَي الواهبتان عَدَمُهُ الجريح،
عندئذ مضيتُ من دربٍ إلى دربٍ ومن نهرٍ إلى نهر،
من مدينةٍ إلى مدينةٍ ومن فراشٍ إلى فراش،
واجتاز قناعي المالحُ البیداء،
وفي البيوت البائسة الأخيرة، بلا قنديلٍ، ولا لهب،
بلا خبزٍ، ولا صخرٍ، ولا صمتٍ، وحيداً
تدحرجتُ يُميتُنِي موتي أنا.

(5)

لست أنت أيها الموتُ الوقور، أيها الطائرُ ذو الريش الحديدي،
ما كان وريثُ الأكواخ يزدرده بين طعامه،
ويحمله تحت جلده الخاوي:

بل كان خيطاً بالياً من ثوبٍ قديم:

ذرةٌ من نهدٍ لم يُجرب النزال

أو الندى الفظّ الذي لم يُبلّل الجبهة.

كان ما لا يمكنُ أن يولدَ من جديد، شذرةً

من الموتِ الضئيلِ بلا سلامٍ ولا موضع:

عظمةً، جرسُ كنيسةٍ مات منطويا على نفسه.

نزعتُ ضمادات اليود، وغمستُ يدي

في الآلام البائسة التي كانت تقتل الموت،

فلم أصادف في الجرح سوى زوبعةً ثلجية

تسرَّبت من فرجات الروح الواسعة.

(6)

عندئذ ارتقيتُ درج الأرض
عبر التشابك الهمجي للأدغال الضائعة
حتى بلغْتُك، يا ماتشو بيشو.
أيّتها المدينة الشاهقة ذات الأحجار المدرّجة،
الملاذ الأخير لمن لم
تخبئه الأرض في ثياب نومها.
فيك، كان مهدا البرق والإنسان
يتأرجحان، كخطّين متوازيين
تحت ريحٍ من الأشواك.
أيّتها الأمّ الحجرية، يا زبد طيور الكندور.

أيها الشاطيء الصخري الشاهق للفجر الإنساني.

أيها المجرفة الضائعة في الرمل البدائي.

كان هذا هو الملاذ، هذا هو الموضع:

هنا كانت حبّات الذرة الممتلئة تندفع عاليا

وتسقط من جديد كحبّات الثلج الحمراء.

هنا انسلّ الخيطُ الذهبي من البيكونيا(2)

ليكسو الحبّ، والقبور، والأمّهات،

الملك، والصلوات، والمحاربين.

هنا كانت أقدامُ البشر تستقر في الليل

بجوار مخالب النسور في العرين الشاهق

المُدْمَى، وفي الفجر
تطأ الضباب الرقيق بخطواتٍ راعدة،
وتلمس الأراضي والأحجار
حتى تُدركَ كمها في الليل أو الموت.

أحدق في الأثواب والأيدي،
في أثر الماء في الفراغ المدوّي،
في الحائط الذي صقله ملمس وجهٍ
كان يرقب مشاعل الأرض بعيني،
ويزيّت الأخشاب البائدة
بيدي: فكل شيء، الثياب، والجلد، والقصور،
الكلمات، والخمر، والخبز،
انقضت، سقطت إلى الأرض.

ودخل الهواء بأصابع

من زهور البرتقال ليُغَطِّي كل النَّائمين:

ألف عامٍ من الهواء، شهوْرٌ، أسابيعٌ من الهواء،

من الريح الزرقاء، من سلاسل الجبال الحديدية،

التي كانت كأعاصير حانيةٍ من الخطوات

تصقلُ نُحُوم الصخر الموحشة.

(7)

يا موتى نفس الهاوية، ظلالَ حفرةٍ واحدة، عميقة،

هكذا جاءَ إلى أبعادِ ضخامتكم

الموتُ الحقيقي، الأشدُّ حُرقةً

ومن الأحجار المشقوبة،

من تيجان الأعمدة القرمزية،

من قنوات المياه المدرّجة

سقطتم كما في خريفٍ

إلى نفس الميتة.

اليوم لم يعد الهواءُ الخالي ينتحب،

لم يعد يعرفُ أقدامكم الصلصالُ،

نسيَ جواركم التي كانت تُصفيّ السماءَ

حين تُريقها سكاكينُ البرق،

وقد التهم الضبابُ الشجرةَ العاتية،
وقطعتها الزوبعةُ.

كانت تحملُ يداً سقطت فجأة
من شاهقٍ حتى نهاية الزمن.
لم تعودى موجودةً، أيتها الأيدي العنكبوتية، الخيوط
الواهنة، الأحبولة المشتبكة.
كلّ ما كُنْتِه سقط: العاداتُ، والمقاطعُ
الرثّة، وأقنعةُ الضوء الباهر.

ليس ثمة سوى بقاءٍ من الصخر والكلام:
المدينةُ كانت مثل كأسٍ ترفعها أيدي الجميع
الأحياء، الأمواتُ، الصامتون، يحفظها
كلُّ هذا الموت، جداراً بكل هذه الحياة، ضربةً

من تُويج الصخر: الوردة الخالدة، الملاذ:
هذا الشاطيء الصخري الإنديزي (3) للمستعمرات الجليدية.

حين تحوّلت اليدُ بلون الصلصالِ
إلى صلصال، وحين أُغِلقت الجفونُ الصغيرة
تملؤها الجدرانُ الخشنة، وتزجُّها القلاع،
وحين تحبَّط كلُّ البشر في حفرهم،
بقيت الدّقة المتفتّحة:

الموقع السامق للفجر الإنساني:
أعلى إناءٍ يضمُّ الصمت:
حياةً من الصخر بعد كلّ هذه الحيات.

(8)

انهض معي، أيها الحبُّ الأمريكي.

قَبِّل معي الصخور الحَفِيَّة.

ففضَّة أوروبامبا(4) المتدقَّة

تجعل اللقَّاح يطيرُ إلى كأسه الذهبية.

وفراغ النبتة المتسلِّقة،

النبتة المتحجرة، الباقة الصلبة

يُحِلِّق فوق صمت خزانة الجبل.

تعالِي، أيتها الحياة الدقيقة، بين أجنحة

الأرض، بينما أنت، آه،

أيها الماء الوحشي بللوريا وباردا، هواءً مطروقاً،

مُفَرِّقاً الزمردات المهزومة -

تهبط من الجليل.

أيها الحب، أيها الحب، حتى الليل المباغت،

من الصوّان الإنديزي الرنان،

صوب الفجر ذي الرُّكب الحمراء،

أمعن الفكر في الإبن الأعمى للجليل.

أه، يا ويلكامايو(5) ذا الخيوط الرنانة،

حين تُكسر رعودك المستقيمة

إلى زبد أبيض، كجليد جريح،

حين تغني وتهذب [عاصفتك

المتدحرجة موقظة السماء،

فأي عبارات تحمل إلى أذن

لم تكذ تنتزع من زبدك الإنديزي؟

من أمسك ب برق البرد
وتركه مقيدا إلى القمم،
موزعا بين دموعه الثلجية، مرتجفا فوق سيوفه السريعة،
ضاربا خيوطه المحنكة،
منقادا إلى فراشه، فراش المحارب، مجفلا عند حافته الحجرية ؟

ماذا تقول ومضاتك المساقة ؟
برقك الخفي المتمرد

هل سافر مرةً تسكنه الكلمات ؟
من يمضي ممزقا المقاطع المثلجة،
العبارات السوداء، الرايات الذهبية،
الأفواه الفاعرة، الصرخات المقهورة،
في مياهاك الهزيلة الشريانية ؟

من يمضي ممزقا جفون الزهر
التي تأتي من الأرض لتتظر؟
من يقذف عناقيد البذور الميتة
التي تسقط من يديك المتدفقتين
ليبعثر ليلها المذرى
في فحم الجيولوجيا؟

من يطوح بغصن الأواصر؟
من يدفن مرة أخرى تحيات الوداع؟

أيها الحب، أيها الحب، لا تلمس الحدود،
أو تعشق الرأس المغمور:
دع الزمن يقيم هامته

في قاعته ذات المنابع المحطمة،
وبين الماء المسرع والسدود،
اجمع الهواء من المضيق،
ملءات الريح المتوازية،
القناة العمياء لسلسلة الجبال،
تحية الندى الخشنة،
وانهض، زهرة إثر زهرة، خلال كثافة الدغل،
واطئاً بقدمك الأفعى الملقاة.

في هذه المنطقة الوعرة من الصخر والغابات،
من تراب النجوم الخضراء، من الأدغال اللامعة،
يندفع مانتور(6) كبحيرة حية
أو كمستوى جديد للصمت.

تعال إلى وجودي ذاته، إلى فجري،

حتى أرجاء الوحشة المتوجة.

فالمملكة الميتة مازالت تحيا.

وفوق الساعة يعبر ظل الكوندور(7)

المدمى كسفينة سوداء.

(9)

أيها النسر الكوكبي، كرمة الضباب.
الحصن الضائع، الحسام الأعمى.
الحزام المرصع بالنجوم، الخبز المقدس.
درج السيل، الجفن الهائل.
الرداء المثلث، لقاح الصخر.
المشعل الجرائتي، خبز الصخر.
الأفعى المعدنية، وردة الصخر.
السفينة الدفينة، نبع الصخر.
حصان القمر، ضوء الصخر.
المربع الاستوائي، بخار الصخر.
الهندسة النهائية، كتاب الصخر.
جبل الجيلد المنحوت بين هبات الريح.

مرجان الزمن المغمور.
السدود التي صقلتها الأصابع.
السقف الذي يتناوشه الريش.
غصون المرايا، أساسات الزوبعة.
العروش التي تقلبها النبتة المتسلقة.
حكم المخلب الدامي.
عصفا الريح المثبتة فوق المنحدر.
شلال الفيروز الساكن.
الجرس الكنسي للنائمين.
ياقة الثلوج الخاضعة.
الحديد المتمدد فوق تماثيله.
العاصفة المغلقة البعيدة المنال.
مخالب الپوما(8)، الصخر المتعطش للدماء.
البرج المظلم، جدال الجليد.

الليل المرفوع على الأصابع والجذور.
نافذة الضباب، الحمامة الفضة.
النبات الليلي، تمثال الرعود.
سلسلة الجبال الأولية، السقف البحري.
معمار النسور الضائعة.
جبل السماء، نحلة القمة.
المستوى المدمى، النجمة المبنية.
الفقاعة المعدنية، قمر الكوارتز.
الأفعى الإنديزية، جبهة الأرجوان.
قبة الصمت، الوطن الخالص.
عروس البحر، شجرة الكاتدرائيات.
غصن الملح، شجرة الكرز ذات الأجنحة السوداء.
الأسنان الجليدية، البرق الثلجي.
القمر المخدوش، الصخر المتواعد.

الشعر الثلجي ، فعل الهواء.

بركان الأيدي ، الشلال الداكن.

موجة الفضة ، غاية الزمن.

(10)

أيها الصخر في قلب الصخر، أين مضى الإنسان؟

أيها الهواء في قلب الهواء، أين مضى الإنسان؟

أيها الزمن في قلب الزمن، أين مضى الإنسان؟

أكنتم أكنتم أيضا الشظية المحطمة

للإنسان غير المكتمل، للنسر الأجوف

الذي، عبر دروب الحاضر، عبر الممرات،

عبر أوراق الخريف الميت،

يظل يسحق الروح حتى قبرها؟

يا ليلد البائسة، القدم، الحياة البائسة...

يا أيام الضوء المنسل

أفيك، مثل المطر

فوق سهام (9) العيد،

كانوا يسلمون غذاءهم الداكن، تويجا بتويج،
للفم الفاجر؟

أيها الجوع، يا مرجان الإنسان،
أيها الجوع، أيها النبات الحفي، يا جذر الخطابين،
أيها الجوع، هل سعد خط شاطئك الصخري
حتى هذه الأبراج السخية؟

إنني أسألك، يا ملح الطرقات،
أن تريني المعول، دعني، أيها المعماري،
أبلي بعصاة مُتكَ الصخر،
وأرتقي كل درجات الهواء حتى الفراغ،
وأفرك الأحشاء حتى ألمس الإنسان.

يا ماتشو بيتشو، هل وضعت

الحجر في قلب الحجر، وفي الأساس، خرقة؟

الفحم فوق الفحم، وفي القاع دمة؟

النار في قلب الذهب، وداخله، ترتجف قطرة

الدم الحمراء؟

أعيدني إليّ العبد الذي دفته!

انفضي من هذه الأنحاء خبز الفقراء

القديد، أريني ثياب

القرّ ونافته.

أخبريني كيف كان ينام وهو حيّ.

أخبريني هل كان حلمه

خشنا، فاغرا، كفجوة سوداء

أحدثها التعب في الجدار.

الجدار، الجدار! آه لو كانت قد أثقلت حلمه

كل طوابق الصخر، وسقط هو تحتها

مع حلمه، كما لو كان تحت قمر!
يا أمريكا العتيقة، أيتها العروس الدفينة،
أصابعك أيضا،
حين تترك الدغل إلى قمة الأرباب الخاوية،
تحت رايات العرس ذات الضوء والجلال،
ممتزجة برعد الطبول وبالرماح
أصابعك أيضا، أيضا،
تلك التي حولتها الوردة المجردة وخط البرد،
تلك التي حولها النهْد المدمى للذرة الغضة
إلى نسيج للمادة الساطعة، إلى فجوات صلبة،
وأیضا، ایضا، يا أمريكا الدفينة، هل حفظت الجوع
في العمق السحيق، في الأحشاء المرة، مثل نسر؟

(11)

خلال السنى المشوّش.

خلال الليل الحجري، دعني أغمس يدي

وليخفق داخلي، كطير ظل حبيسا ألف عام،

قلبي العجوز المنسي!

دعني اليوم أنسى هذه السعادة، التي هي أرحب من البحر،

لأن الإنسان أرحب من البحر وجزره،

ويجب الغوص فيه كما في بئر لنصعد من الأعماق

بغصنٍ من ماءٍ خفيٍّ وبحقائقٍ مغمورة.

دعني أنسى، أيها الحجرُ الشاسع، الأبعادَ الطاغية،

الانساعَ المتسامي، الأحجار المكسورة بأقراص الشهد،

ودع يدي تنزلق اليوم من المثلث المتعامد

أسفل وترٍ من الدم المتخثر وثوب التكفير.

حين يضرب الكوندور الغاضب جبهتي في طيرانه،
كحدوة من الجنيحات الحمراء،
ويكتسح إعصار الريش المسعور التراب الداكن
من الدرج المائل، ولا أرى الوحش المسرع،
لا أرى حلقة مخالفه العمياء،
بل أرى المخلوق القديم، العبد، الذي يفترش
الحقول، أرى جسداً، ألف جسد، رجلاً، ألف امرأة،
سودهم المطر والليل، تحت دوامة الريح السوداء،
مع حجر التمثال الثقيل:
خوان كورتا بييدراس (10)، يا ابن ويراكوتشا،
خوان كوميفريو (11)، يا ابن النجمة الخضراء،
خوان بيسديسكالثوس (12)، يا حفيد الفيروز،
انهض لتولد معي، يا أخي.

(12)

انهض لتولد معي، يا أخي.

أمدد لي يدك من النطاق

العميق لأساك المبعثر.

فلن تعود من أعماق الصخور.

لن تعود من الزمن المطمور.

لن يعود صوتك المبحوح.

ولن تعود عيناك المثقوبتان.

انظر إليّ من أعماق الأرض،

أيها الحارث، النسّاج، الراعي الصامت:

يا مروّض اللاما (13) المباركة:

يا بناء السقالات المتحدية:

وسقّاء دموع الإنديز:

أيها الصائغ ذو الأصابع المسحوقة:

الزارع المرتجف بين البذور:

والفخّار المراق في صلصاله:

اسكبوا في كأس الحياة الجديدة هذه

أحزانكم القديمة الدفينة.

أروني دمكم وتجاعيدكم،

قولوا لي: هنا عوقبت،

لأن الجوهرة لم تلمع أو

لم تطرح الأرض في أوانها الصخر أو القمح:

أروني الحجر الذي تعثّرت فيه

والخشب الذي صلبوكم فوقه،

أشعلوا لي الزناد العتيق،

المشاعل القديمة، السياط الملتصقة

بالجروح عبر القرون
والمعاول ذات البريق المدمى
فقد جئتُ لأتكلّم بفمكم الميت.

وحّدوا كل الشفاه الصامتة
المبعثرة في أرجاء الأرض
ومن الأعماق فلتحدثوني بامتداد هذه الليلة الطويلة،
كما لو كنتُ مربوطاً إليكم بمرساة.
إحكوا لي كل شيء، سلسلة سلسلة،
وحلقة حلقة، وخطوة خطوة،
اشمّذوا السكاكين التي تدّخرونها،
اغرسوها في صدري وفي يدي،
كنهر من الأشعة الصفراء
كنهر من النور الدفينة،

ودعوني أنتحبُ، ساعات، أياما، وسنيناً،
عصورا عمياء، وقرونا كوكبية.

امنحوني الصمت، والماء، والأمل.

امنحوني النضال، والصلب، والبراكين.

لتتعلق أجسادكم بي كأقطابٍ مغناطيسية.

تعالوا إلى عروقي وفي.

تكلّموا بكلماتي ودي.

* * * * *

